دقة القرآن ورونقه في اختيار مفرادته المشحونة بأسرار الإعجاز

حافظ مهجع
الباحث في الأكادمية العالمية للبحوث في العلوم بكيرلا ،الهند

The accuracy and splendor of the Qur'an in selecting its vocabulary, which is charged with the secrets of miracles

Hafez Mhjaa
Researcher at the International Research Academy of Sciences, Kerala, India

الملخص:-

وقد قال تعالى في محكم تنزيله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾" سورة النساء. القرآن كلام الله المنان، ومعجزة نبي الكبرى ،وهو أعظم وأكبر من أن يحاط به. ولو اطلعنا على سورة أو آية منه لازددنا يقينا بأن مانعلمه فيه إن هو إلا حسوة طائر من بحر لا يدرك قعره،أو نظرة حائر في فضاء لا حدود له.

ولا يعنيني أن أشرح وأقول عن فضائل القرآن وأهميته ومكانته، لأن كل ذلك معروف لدى الكبار والصغار، بل نستفيض عن بعض مفردات القرآن وأهميتها وقيمتها وملائمتها في السياق، وهذا أريد وأهدف بهذه الورقة. إن مفردات القرآن تحمل في طيها معاني عظيمة ومغازي فريدة، وذلك أن الكلمة هي الأصل الذي يستفاد منه المعنى.

ومن هذا يمكننا القول إن روعة القرآن في اختيار مفرادته من أسرار إعجازه التي لا تنفد، لذلك نجد كل كلمة في القرآن لا يصلح غيرها في موضعها، ولو بحثنا عن كلمة أخرى لتؤدي معناها في مكانها لا نجدها، لأن معناها في هذا الموضع أمر يقتضيه السياق والحال.

إن شاء الله سأشرح وأوضح هذا في ضياء كتب التفسير وكتب علوم القرآن وغيرها. لأن القرآن يمتلك ثروة هائلة من المفردات العجيبة وتم وضعها في محلها المحدد حيث لا يصلح غيرها في مكانها، ولا عجب... فعليه عمدة البلغاء والفقهاء، وإليه مفر الشعراء والبلغاء، وتعالى الله العظيم عما يقولون علوا كبيرا.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم ، الاسرار، الاعجاز , مفردات.

Abstract:-

And the Almighty said in a clear revelation: “Will they not ponder over the Qur’an, even if it was from God’s jealousy, they would have found in it a great deal of disagreement” Surat Al-Nisa. The Qur’an is the word of God, the benefactor, and the great miracle of his Prophet, and it is too great to be encompassed. And if we read a surah or a verse from it, we would have increased our certainty that what we know about it is nothing but the feces of a bird from a sea that does not comprehend its bottom, or a bewildered look in an infinite space.

I do not care to explain and say about the virtues of the Qur’an, its importance and status, because all of this is known to adults and children. Rather, we will elaborate on some of the Qur’an’s vocabulary and its importance, value and suitability in the context, and this is what I want and aim with this paper. The vocabulary of the Qur'an carries with it great meanings and unique significances, because the word is the principle from which the meaning can be derived.

Keyword: The Holy Quran, secrets, miracles, vocabulary.

مقدمة

ووجه إعجاز القرآن أن الله قد أحاط بكل شيئ علما , وأحاط بالكلام كله علما .ومن المعلوم أن بشرا لم يكن قط محيطا لأن معهم الغفلة والجهل والنسيان .فبهذا جاء نظم القرآن في أقصى غاية الفصاحة والبلاغة.وبهذا يبطل القول : وكان العرب يمكنون أن يأتوا بمثل القرآن فلما جاء القرآن صرف عنهم وعجزوا عن ذلك.ومما يظهر أن إتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أي إنسان من المخلوقين .وكثيرا ما يكتب الإنسان شيئا فبعد يكتشف الخطأ فيصحح ,أو ينسخ ما كان قبله .فالبعض يكتب شيئا مما حصل له من كتاب غيره ويضيف إليه شيئا من نصيبه . هكذا حياة الإنسان.ويظهر هذا قصور البشر في قدرته.

وقال الإمام الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه المشهور ب(مفردات ألفاظ القرآن):"فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه ,وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ,وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم."

وأولا نتبين عن اهتمام القدماء الفصحاء بالألفاظ اللائقة في أشعارهم كي نستوعب مكانتها لدى العرب.إذا رأوا خطأ في اختيار الكلمات عدوها عيبا يذم به .مثلا

وهذا ابن هرمة ينكر على رجل بدَّل كلمة مكان أخرى في بيت له، قال الرجل:

بالله ربك إن دخلت فقل لها هذا ابن هرمة قائما بِالباب

فقال ابن هرمة للرجل: ما كذا قلت،أكنت أتصدق ؟

قال الرجل: فماذا؟ قال ابن هرمة: (واقفًا بالباب)، ثم قال للرجل: ليتك علمت ما بين هذين

. من قدر اللفظ والمعنى

:النابغة الذبياني ينكر على حسان بن ثابت رضي الله عنه لعدم المراعاة في اختياره الألفاظ التي تلائم السياق وتوافق المقام حين أنشد مدحا بقومه:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فأنكره النابغة فقال:يا ابن أخي ! لقد أقللت جفانك وأسيافك , لم تقول هكذا ؟قلت : لنا الجفنات ,ولو قلت : الجفان , لكان أكثر لأن الجفنات جمع قلة , والجفان جمع كثرة

,وقلت : يلمعن في الضحى , ولو قلت يسطعن في الدجى , لكان أبلغ لأن الضيف أكثر ما يكون ليلا , وقلت : يقطرن , ولو قلت : يجرين , لكان أولى.

ومن هذا نفهم أن هناك من يهتم بعناية المفردات وهكذا كثيرا من الأمثلة كلها تشير إلى ذلك .وإذا كان الأمر كذلك أي أن العرب وهم حاولوا مع اعتناء بالغ ليكون الكلام في سلامة الذوق وجودة القريحة ,فلا بد أن هذا يشير أن القرآن اعتنى بأقصى غاية الاهتمام بالمفردات ,لأنه هو كلام الله الخالق المنان , واتحتل مكانة عالية بفصاحته الكاملة وببلاغته الشاملة.ولهذا كل من يستعد لقبول تحدي القرآن فخر في طريقه حتى كثير منهم اعترفوا بإعجازهم واعتنقوا الإسلام.وكان الوليد بن المغيرة من أفصح العرب وأشعارهم , ذات مرة اتفق هو بسماع من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فدهش منها حتى قال لقومه :"والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ,ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن ,والله إن له لحلاوة , وإن عليه لطلاوة ,وإن أعلاه لمثمر, وإن أسفله لمعدق ,وإنه يعلو ولا يعلى عليه ".والأمثلة كثيرة من سجل التاريخ.

دقة مفرات القرآن

نستوعب دقة مفردات القرآن من الأمثلة الآتية التي تكون بها معترفا بإعجاز كلامه سبحانه وتعالى .وهناك نجد كثيرا من التأليفات التي بينت فيها أسرار وعجائب مفردات القرآن .لم يرد في القرآن قط زائدة بلا فائدة لكل نقطة فيها معان .وإنما ورد من الزوائد كلها لفائدة مخصوصة الحال من حيث تزييد المعنى المقتضى ذاك الحال.وكذا لم ينقص من القرآن شيئا .ولهذا قال تعالى " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير االله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ", وقال أيضا " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ".ولا شك أن كل مفردة وضعت وضعيا فنيا في مكانها المناسب وأن الحذف والذكر والإبدال من المفردات كلها مقصودة ولها أغراض.

الذكر والحذف

ونرى في القرآن كلمات مثل (استطاعوا) و(اسطاعوا),(تتوفاهم)و(توفاهم),(تتنزل) و (تنزل) , (لم يكن) و (لم يك) وغير ذلك . وهذا كله لغرض ليس لاعتباطا وإنما وضع كل لمقصود .

وقوله تعالى " فما اسطعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ". حذفت التاء في الأول وذكرت في الثاني .وذلك في السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس. وأن

الصعود على السد أيسر على إحداث نقب فيه لمرو الجيش.فحذف من حدث الخفيف وذكر في الحدث الشاق وصارت الصيغة أطول لكون الفعل أعسر .

وكذلك أن كلمة (تنزل) وردت ب تنزل , وتتنزل في مختلف المواضع ."تنزل الملئكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر)سورة القدر ,"هل أنبئكم على من تزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) سورة الشعراء ,ففي آية أخرى وردت هكذا "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم المئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون " سورة فصلت .وفي آيتي سورة القدلر والشعراء لأن تنزل فيهما أقل وفي سورة فصلت لم يحذف لأنه أكثر والله أعلم.

وردت كلمة توفاهم كذلك "إن الذين توفاهم الملئكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجلروا فيها فألئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا "سورة النساء ,وفي آية "إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين اللذين توفاهم الملئكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون " سورة النحل .وحذف التاء من آية النساء لأن المراد منها المستضعفون أي هم قسم منهم , وهم أقل ,وفي سورة النحل لم يحذف لأن المراد فيها العموم منهم .

ومن ذلك كلمة "لا تولوا"و "لا تتولوا" ,وقال تعالى "يأيها الذين أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون "سورة الأنفال ,وفي آية "وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ".سورة هود .وأن ما ورد في سورة الأنفال في خطاب المؤمنين وحذف هنا التاء لأن التولي منهم أقل كما هو معلوم ,ولم يحذف بل ذكر في آية هود الخطاب للكافرين والتولي منهم أكثر .فزاد فيه التاء دلالة على زيادة تولهم.هكذا نجد أغراض أخرى في جميعها .

نتبين براعة النظم , وبلاغة التركيب من أمثلة مفردات القرآن لكي نفهم بها مدى دقتها المتعجبة ودقة التناسق.

أكله الذئب

.إذا نظر إلى قول الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف (عليه السلام) "قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين".سورة يوسف

.أن الافتراس من فعل السبع بل هنا لم يستعمل هذا لان استعماله يكون خلاف معنى المراد .الفرق بين الأكل والافتراس أن الأكل يدل على انعدام يوسف والافتراس لا يدل على ذلك .إذا استخدم هنا كلمة افترس فيبقي جسده فيكون الإخوة مطالبين من أبيه أن يأتواه.واستعمل الأكل يدل لم يبق من يوسف شيئ وبه يدفع بحث أبيهم يعقوب (عليه السلام) .

الريح – والرياح

وردت كلتمي الريح , والرياح عدة مرات في القرآن . ولكن وضعهما على معنى سويا في كل الحال.ولكل وضع منهما مقصود.وأن الريح تأتي غالبا في مواطن الشر والعذاب , بينما الرياح تأتي في مواضع الخير والبركة.انظر إلى قوله تعالى عن الريح : "وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم "(الذاريات),"وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية".والآيات عن الرياح قوله تعالى:وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين رحمته"(الأعراف),وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء طهورا"

المطر والغيث

ممكن ترى فرقا عجيبا بين كلمتي المطر والغيث .كما بينا في فرق الريح والرياح.وهذان الكلمتان وردتا عدة مرات في القرآن .فلفظ المطر في مواضع النعمة والرحمة والخير ,والغيث في مواضع العذاب والعقاب والشر.انظر إلى قوله تعالى :"إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث "(لقمان)وقوله تعالى "وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد"(الشورى) .وقوله تعالى عن المطر "وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين "(الأعراف) وقوله تعالى أيضا في هذا "وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين " (النمل), وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين(الشعراء).تأمالوا وتدبروا هذا كله يدل أنه من عند الله المنان.

فعل –عمل

بين هاذين الكلمتين تقارب شديدة ولكن استخدمها استخداما عجيبا ومدهشا .فالكلمة فعل اسخدمدت لما يقع دفعة بلا احتياج إلى إعمل فكر.ولهذا أنسبت كلمة مادة فعل إلى الله تعالى مثلا قوله تعالى "وتبين لكم كيف فعلنا بهم "(إبراهيم),"ولكن الله يفعل مايشاء "(البقرة).والكلمة عمل أتى لما يمتد زمانه ولهذا لم يسند هذا العمل إلى الله تعالى.لاحتياجها إلى إعمال تفكر .ولا يخفى على الله شيئ.فإنه يعلم السر وأخفى.ومثاله في

القرآن قوله تعالى "من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها "(غافلر),"ووجدوا ماعملوا حاضرا"(الكهف),يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا"(آل عمران).

الجهاد – القتال

وردت كلمتي جهاد وقتال على فرق دقيق وإن كانت مترادفتين.الجهاد أعم وأوسع على القتال ولكن القتال واستعمل مع الذين يقاتلون المسلمين.وقوله تعالى عن الجهاد :"يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم"(المائدة),"فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا "(الفرقان),"يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم "(التحريم).وانظر إلى آيات القتال :"يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون"(التوبة),"ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب "(النساء),"وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ".

ضيزى

هذه الكلمة وردت في القرآن إلا مرة واحدة فقط.وهي التي من أغرب مفردات القرآن.وأن في ورودها في محلها المحددة تدهش الكل.وقال تعالى :﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾.ويفهم من قول الأديب ابن الأثير في هذا ,لاحظ فيه عناية القرآن بفواصل الآيات. كما يفهم من السياق والسباق.ولذا أتى بهذه الكلمة كلمة ضيزى وإن كانت في معناها كلمات أخرى مثل جائرة,ظالمة .وإن كانت بأحد منها فاختل بها نظم الفواصل .هذا من حيث اللفظ فقط.والأديب مصطفى صادق أردف في قوله في كتابه (إعجاز القرآن) مبينا أن غرابة لفظ ضيزي مناسبة لغرابة القسمة الجائرة التي أنكرها السياق.

وهذا مثال دقة لفظ القرآن وإعجازه.وأنه تنزيل من حكيم حميد.

الخلاصة والاستنتاج

١ - كما علمنا أن ألفاظ القرآن الكريم تمتاز بالجزالة والقوة والمالءمة بين الشكل والمضمون، لها بالغتهاالخاصة بأدائها وأصواتها، مما جعلها راقية في إيحاءاتها، متميزة في تراكيبها ودالالتها، واستقرارها في موضعها، واتساقها الكامل مع المعنى،مما أكسبها خاصية أسلوبية بلغت الذروة في الفصاحة والبيان من مواضع اإلعجاز والجمال في تركيب الجملة القرآنية.

٢-أن ألفاظ القرآن كلها وضعت مع قصد إلهي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد.

٣-أن كل من ينظر إلى القرآن ومفرداته يجد ويستخرج منه الدقائق الرسيسية، ويغوص المتفكر فيه فتستخرج ددر الإعجاز وغرر الإبداع.

٤- كلما تلى اتسع الفكر، وانبسط السر، وانكشف الغطاء حتى تتعرف بدقة كلام الرباني وحقيقة مبان السبحاني.

وقال فخر الدين الرازي رحمه الله "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط" 5-

٦ – القرآن يبقى بحرا ذاخرا لا ينضب معينه ولا ينتهي درره , تزداد فصاحة كلما تكرر وتتجدد بلاغة كلما تقرر.

قائمة المصادر و المراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني

٣ – تفسير الرازي

٤ – بلاغة الكلمة في التعبير القرآني للفاضل السمرائي